على قدرتنا ووحدانيتنا أفحسبتم انما خلقناكم عبثا لا لحكمة لا بل للتعبد كم
بالامر والنهي فترجعوا الينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن و
الانس الا ليعبدون فتعالى الله عن العبث وغيره مما لا يليق به انتهى
وقال السيوطي في تفسير قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا عبثا
بل دليلا على كمال قدرتك سبحانك تنزيها لك عن العبث انتهى
وقال ابرهيم اللقاني المالكي مذهب الأشاعرة ان افعال الباري
تعالى ليست معللة بالاغراض والمصالح والغرض ما لاجله يصدر الفعل
عن الفاعل ومذهب الماتريدية امتناع خلو فعله تعالى عن المصلحة
قال السعد الحق ان تعليل بعض الافعال سيما الاحكام الشرعية بالحكم
والمصالح ظاهر وذكر ايات واحاديث وليس فيها ما يرد مذهب
الأشاعرة اذ يقولون بالحكمة والمصلحة في نفس الأمر لانهم يمنعون
العبث في افعاله تعالى كما يمنعون الغرض ولذلك كان التعبدي من
الاحكام ما لم يطلع على حكمته لا ما لا حكمة له على ان بعضهم نقل
عن الاشاعرة انهم انما يمنعون وجوب التعليل لا انهم يحيلونه
كما صرح به ابن عقيل الحنبلي انتهى كلام اللقاني وكم
عسانا نجمع لك من الفاظهم فالكتب مشحونة بذلك في الكلام وفي
اصول الفقه وفي فروعه وفي شروح الحديث وما بقا الا منافظة من
ناقض منهم بقوله لا غرض ولا عبث والعبث خلو الفعل عن الغرض
كما يأتي قريبا تحقيقه وقد نقل اجماع الفقهاء على تعليل
افعاله تعالى جماعة من الاصوليين والمتكلمين كابن عرفة وابن
الحاجب في مختصر المنتهى وسعد الدين في التهذيب فعلى هذا انحصر هذه
المقالة في جماعة من محض المتكلمة غير الفقهاء ومن غلب عليه الكلام
ولم يخض في معرفة الكتاب والسنة واصول الشريعة وفروعها مما يحقق
فيه اسم الفقيه فهو الى الفلسفة اقرب منه الى المتشرعة وهذه
المقالة اصلها للفلاسفة جعلوه ذريعة الى نفي المختار وسيأتيك
تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى وما هي الا مقالة شنعاء وما يرغب فيها الا من سفه
نفسه عقلا وشرعا كما قال السمرقندي منكر التعليل منكر النبوة ورام سعد

الذين

٥٠

الذين تقويم الضلعة العوجاء فقال التعليل بعض افعاله تعالى ثابت بالنص و
الاجماع فالاقرب حمل الخلاف على لزوم ذلك وعمومه ومثله قول عضد الدين
وجوبا عند المعتزلة وتفضلا عند الفقهاء وهذا لا يوافق دعواهم
استحالة التعليل واحتجاجهم بلزوم استكمال الباري تعالى بالغير كما يأتي
وتامل ما ذكرناه من اللوازم الشنيعة على هذه المقالة يوذنا بتلك
لحججهم وابطالها وقد صرت قابلا طبعك لما يرد عليك ولا يهولنك
ان عزيت الى من وهم بالتحقيق من المتكلمين فلبسوا ابا دق نظرا
من اسلافهم الحكما وهذه المقالة احد مفاسد الاعجاب بتدقيق الحكما
ولعل تسهيل الدقايق لهم من الاستدراج ولمن اغتر بهم ابتلا ويحكى انه
كان في زمن موسى على نبينا وعليه افضل
الصلاة والسلام حكيم قد بلغ من الحكمة مبلغا حتى ادرك من خواص
الاشيا انه سافر فكان يعطي الرجل من اصحابه مثل حبة الخردل فيغذيه
ريا وشبعا ثلاثة ايام ووضع حجرا على راس رمح فكان يستضي به
هو واصحابه كوميل فذكر له امر موسى صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه
فقال قد اعطينا من العلم ما لا نحتاج معه الى احد فليت هذا الحكيم
كان بارعا ابلا فلعله كان يدرك السعادة الابدية والشرف السرمدي
وينجو من اعظم الضلال وشر الخصال نسال الله الطافه وهدايته وما
كل تدقيق بمحمود ولا هو دليل الحق وهل معنى التدقيق الا ما كانت مقدماته
عربية اوكثيرة اومسلكه الترتيب وذكرا انما يعقل بالنسبة الى هذا
المخلوق الضعيف الذي ما اوتي من العلم الا قليلا فاين انت من الاعجاب
بكلام من خلق العقول وجعل لها في الادراك غاية محدودة يختص سبحانه
لما وراء ذلك وساغ كلامه الدلالة على حقايق على وجه يكون معه ابلغ صلاح
العقلاء وكلام انبيائه الذين اختصهم بمحل نصيحته واودعهم اسرار حكمته
فعملوا على من طب لمن حب وامحض بهم ايمان من كتبت السعادة له كما في لمح البصر
او هو اقرب وكم عسى يبحث الباحث في الكلام ويعاني تخليص الشكوك حتى
ينقضي العمر وهو محروم برد اليقين وتركه كتاب احسن الخالقين يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)